الفصل السابع

من المفاهيم إلى الأبعاد السياسية

obeikandl.com

obeikandl.com

أهل الكتاب ـ النصرانية ـ المسيحية

لا شك أننا عندما نطالع القرآن الكريم نرى ثلاثة مصطلحات ترتبط بفئتين اليهودية والنصرانية. هذه المصطلحات هي النصارى. وأهل الكتاب والذين هادوا أي اليهود في بعض التعريفات. ولم نر في القرآن كله مصطلح المسيحية ومن الطبيعي أننا فهمنا ومازلنا نفهم بشكل واضح أن مصطلح أهل الكتاب يتجه إلى اليهود والنصارى باعتبار أن موسى عليه السلام أنزلت عليه التوراة وهو النبي الرئيسي الذي تلقى الرسالة في بني إسرائيل وباعتبار أن عيسى بن مريم عليه السلام أُنزل عليه الإنجيل. .

وحين ندقق في الآيات القرآنية التي ورد فيها مفهوم أهل الكتاب نرى أنها تعني الظرف الراهن الذي أُنزل فيه القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ. فإذا عاتبهم خاطبهم يا أهل الكتاب. وإذا ذكرهم بماضيهم خاطبهم يا أهل الكتاب. وإذا دعاهم إلى اتباع النبي محمد ﷺ خاطبهم يا أهل الكتاب. وإذا نهاهم خاطبهم أيضاً يا أهل الكتاب. .

ونستطيع أن نفرق ما بين التوجه القرآني لليهود والنصارى من خلال سياق الآيات التي تضمنت مفهوم أهل الكتاب. وقد ورد مصطلح أهل الكتاب في أربعة وعشرين موقعاً ضمت اليهود والنصارى.

أما ما يخص النصارى فيمكن حصره فيما يلي:

١ ـ يقول تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة/ ٤٧].

٢ـ ويقول تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران / ١١٣ ـ ١١٤].

٣ـ ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٩].

٤ـ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء/ ١٥٨ ـ ١٥٩].

٥ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ٦٤].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران/ ٦٥]. ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران/ ٦٧].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء

/ ١٧١].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة/ ٦٨].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٦].

أما مفهوم نصارى فقد ورد نصارى في عشرة مواضع ووردت كلمة نصرانياً مرة واحدة. ووردت كلمة أنصار المقصود بها من آمن بالمسيح مرتين ووردت أنصاري مرة واحدة.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة/ ١١١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة/ ١٣٥].

ويقول تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة/ ١٤٠].

ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ [المائدة/ ١٤].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [البقرة/ ٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ [البقرة/ ١١٣].

ويقول تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [البقرة/ ١٢٠]. ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ [المائدة/ ١٨].

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة/ ٥١].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ [المائدة/ ٦٩].

وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة/ ٨٣].

إذاً فالآيات القرآنية الكريمة تطرح مفهومين، أهل الكتاب، والنصارى. وكما قلنا فإننا لا نعثر على مفهوم المسيحية. وهذا يدل أن المسيحية كمفهوم ليست في أساسها اسماً على مسمى إنما ابتدعت بعد رفع المسيح بمدة طويلة.

أما المصطلح نفسه فإن فيه من الخطأ الكثير، فالمسيحية تنسب إلى شخص اسمه المسيح عيسى ابن مريم ولسنا نعرف عقيدة تنسب إلى شخص إلا إذا كانت عقيدة وثنية ليس لها صلة بالسماء كالمانوية والزرادشتية أو البراهمية أبو البوذية.

وقد حاول بعض الكتاب والمفكرين مساواة الإسلام بالمسيحية فأطلقوا على الأمة الإسلامية الأمة المحمدية. وينطوي هذا التعريف على خطأ فاحش لا يقبله المسلمون بأي شكل من الأشكال لأن الدين دين الإسلام والأمة أمة الإسلام والانتساب للرسول محمد ﷺ لا يأتي من خلال الفصل بين شخص الرسول وبين الدعوة الإسلامية العالمية التي دعا لها بأمر من الله عز وجل. ولو كانت دعوة رسول الله المحمدية أو الأمة المحمدية أو الدين المحمدي. ورسول الله عليه الصلاة والسلام ليس إلا بشراً يوحى له. فالدعوة من الله والدين عند الله الإسلام. ومهمة النبي التبليغ والهداية والدعوة إلى دين الله التوحيدي.

وحين أطلقت آيات القرآن الكريم كلمة نصارى على أتباع عيسى المسيح

عليه السلام جاء المقصود لتوضيح هؤلاء الذين اتبعوه وناصروه.

لقد افترض بعض الباحثين أن اسم نصارى جاء نسبة إلى مدينة الناصرة التي شبّ فيها السيد المسيح وترعرع على الرغم من أن ولادته كانت في بيت لحم.

والواقع أن اسم نصارى يأتي متوافقاً مع آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن أنصار الله وأنصار النبي عيسى عليه السلام. (قال الحواريون نحن أنصار الله) وأعتقد أن القرآن الذي نزل على قلب رسول الله ﷺ بعد حوالي ستة قرون من رفع المسيح عليه السلام وصف أنصار المسيح ودينه بالنصارى.

وقد افترض صاحب كتاب (قس ونبي) (الحريري) أن الديانة النصرانية انسلخت عن المسيحية في وقت ما واستقلت عنها كلياً. والواقع أن العقيدة النصرانية هي الأصل والمسيحية بدعة خارجة عن النصرانية. وإذا عدنا إلى تاريخ الفكر المسيحي وجدنا أن اسم المسيحية أطلق أول مرة على أتباعٍ من النصارى بعد رفع المسيح بـ حوالي ثمانين سنة في أنطاكية ولم يعرف أتباع النصرانية باسم المسيحية قبل هذا التاريخ. وحتى الأناجيل نفسها لم يأت فيها هذا الاسم على الرغم من أنها أُلفت بعد رفع المسيح بعشرات السنين.

أما النصارى فكما وصفهم القرآن الكريم فهم على صنفين: منهم من آمن بالوحدانية وكان على دين الحق ومنهم من كان قد أشرك بقوله إن المسيح هو الله أو ابن الله. فلذلك لم يكن هجوم القرآن الكريم على كافة النصارى بل على الذين انحرفوا عن دين عيسى ولنسر مع آيات القرآن الكريم لنتعرف على الصنفين اللذين تناولهما القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة/ ٨٣]. فالذين سمّوا أنفسهم نصارى ولم يسموا أنفسهم مسيحيين كانوا يدركون معنى هذا الاسم فأطلقوا على أنفسهم نصارى. لأنها تعني أنصار الله واتباع دين المسيح وهو دين الوحدانية. أما أوصافهم فهي أن منهم قسيسين ورهباناً وهم متواضعون لا يستكبرون وإذا سمعوا آيات القرآن فاضت عيونهم بالدمع لأنهم يعرفون أن مصدر الإنجيل الحقيقي والقرآن هو مصدر واحد، من الله سبحانه وتعالى. فهم مؤمنون موحدون وليسوا وثنيين ولا مشركين.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة/ ٦٩].

فهنا تحدد الآية القرآنية المؤمنين الذين يعملون الصالحات من اليهود والنصارى والصابئين. فهؤلاء لهم أجرهم عند ربهم لما عملوا من عمل صالح وليس عليهم خوف ولا هم يحزنون لمصيرهم لأن الله سبحانه رفع المؤمنين درجات في نعيمه الخالد.

وحتى حين تتحدث الآيات القرآنية عن أهل الكتاب قسمهم صنفين وقال ليسوا سواء. أمة من أهل الكتاب قائمة يقرأون آيات الله التي أنزلت على موسى وعيسى في التوراة والإنجيل وهم مؤمنون راكعون ساجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في فعل الخير وهم من الصالحين. فهؤلاء ليسوا مثل من جحد بآيات الله وأشرك بالله ورفض الإيمان باليوم الآخر وفعل المنكر وابتعد عن فعل المعروف والأمر به ويمانعون فعل الخيرات فهذا التقسيم الواضح يبين لنا أن أهل الكتاب الحقيقيين هم هؤلاء الذين لا يختلفون عن المؤمنين المسلمين. فكلهم سواء في دائرة الإيمان والتوحيد.

ثم تقول الآيات القرآنية إن من أهل الكتاب من يؤمن بالله ويؤمن بما أنزل الله على محمد عليه الصلاة والسلام تماماً مثل ما يؤمنون بما أنزل على النبي عيسى وهم يخافون الله ولا يحرفون كلام الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. وأولئك لهم أجرهم عند ربهم وقد طالب الله سبحانه أتباع المسيح عليه السلام بأن يحكموا بما أنزل الله وليس بما فرضه الكهنة واللاهوتيون. ويطالبهم أيضاً بعدم الغلو في الدين وعدم القول بأن الله هو المسيح عيسى بن مريم. ويطالبهم بالعودة إلى الدين الحق والاعتراف بأن عيسى كلمة الله ورسوله. ثم يدعوهم إلى الإيمان بالإله الواحد الأحد وعدم القول بالتثليث. وإن انتهوا عن ذلك التثليث والإشراك فهو خير لهم.

ويقول لهم: إنكم لستم على شيء إن لم تقيموا حكم الإنجيل وما أنزل عليكم من ربكم وفي سياق آيات أخريات يبين الله لنا أنه أخذ على النصارى ميثاقاً غليظاً بأن لا يشركوا به لكنهم نسوا مما أخذ عليهم فحرفوا الدين التوحيدي وقالوا بالتثليث.

وقد لحقت بهم لوثة العنصرية حين ادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً أو يهودياً. إن ذلك من الأمنيات التي يتخيلونها لأن ليس لديهم برهان على صحة دعواهم ويدعون أن الذي يهتدي يجب أن يكون يهودياً أو نصرانياً ولكن الله سبحانه يبين للناس أن ملة إبراهيم الحنيفي المسلم العالمي هي الملة الموحدة ومن سار على طريقها فهو الذي يختار الصحيح ويترك الزيف والضلال.

ويصف الله سبحانه تناقض النصارى مع اليهود حيث يتهم كل طرف الآخر بأنه على ضلال على الرغم من أن كليهما يتلو الكتاب. ويعرف أن ملته كاذبة وضالة.

ويدعي كلاهما أن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب كانوا على اليهودية والنصرانية والواقع هذا زيف وادعاء باطل لأن التوراة والإنجيل أنزلا بعد عصر إبراهيم وأبنائه بمئات السنين فلم يكونوا يهوداً ولا نصارى بل كانوا حنفاء على دين التوحيد. وباعتبار أن اليهود والنصارى أهل كتاب يطلب القرآن الكريم من المؤمنين جدالهم بالتي هي أحسن حتى يثوبوا إلى رشدهم فإن لم يعودوا إلى عقيدة التوحيد الصافية. فما على المؤمنين إلا أن يقولوا إننا آمنا بالله وحده وما أنزل على موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين. وإلهنا وإلهكم واحد هو الله الواحد ونحن له مسلمون. فهذا الخطاب القرآني يربي المسلم الحق كيف يتعامل مع اليهود والنصارى على الرغم من أنهم يمكرون ويخبئون البغضاء والحقد للمسلمين.

ومن خلال السياق القرآني ودراسة التاريخ الذي يسمونه تاريخ المسيحية نرى أن المسيحية كمصطلح، أطلق على بعض من ادعوا أنهم أتباع المسيح ويعني عقيدة مختلفة كلياً عن النصارى الحقيقيين. فما قاله بولس ومن جاء بعده بأن للمسيح طبيعتين لم يعرف لا في الأناجيل المؤلفة ولا في الإنجيل الحقيقي. وقضايا كثيرة تدخل في صلب العقيدة المسيحية ليس لها أساس في النصرانية الحقة. ويبدو واضحاً أن هناك عقيدتين وليس عقيدة واحدة الأولى هي النصرانية والأخرى هي المسيحية. وقد دفع بانتصار المسيحية على النصرانية كون الإمبراطورية الرومانية الغربية كانت من دعاة المسيحية فضغطت على النصرانية وأدخلت فيها كثيراً من التعاليم الوثنية والمعتقدات التي حرفتها تماماً عن أصلها التوحيدي.

إن الذين قالوا إنا نصارى يوصفون بصفات مختلفة كلية عن أوصاف المسيحيين. لأن المسيحية لا تعترف بالقرآن الكريم ولا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بينما النصرانية الحقة تعترف بنبوته لأنه ينهل من نفس النبع الذي ينهل منه عيسى والأنبياء جميعاً.

الصهيونية المسيحية.. الغلاف البروتستانتي للجوهر اليهودي
من لوثر وكالفن إلى كروموبل والمحفل البيوريتاني

من المستحيل أن يفصل المرء بين الموقف الأوروبي من قضية فلسطين وبين التحالف العقدي بين اليهودية والبروتستانتية وكذلك بين التحالف الاستراتيجي الغربي الأمريكي وبين التحولات البابوية تجاه اليهود والقضية الفلسطينية فهذا التحالف ليس مجرد مصالح متبادلة وتطلعات استعمارية تجاه المنطقة العربية إنما هو ارتباط عقدي وحّد التوراتية والإنجيلية الماضية أو الغابرة وانطلق نحو تأسيس تنبؤات أسطورية تربط ما هو يهودي بما هو مسيحي غربي.

كيف كانت البدايات؟

من يرجع إلى تاريخ المسيحية الغربية منذ القرن الثاني الميلادي يرى أن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة ومنها تحريفها الإنجيل. وقد بدأ هذا التحريف بولس اليهودي الذي ما يزال إلى الآن في الأوساط المسيحية رسولاً وقديساً تفعل أفكاره فعلها الحضوري القوي.

وظلت الأمور بين مد وجزر في أوساط المتنصرين الغربيين حتى جاء القرن السادس عشر لتضرب اليهودية ضربتها المدمرة للمسيحية وذلك عن طريق مارتن لوثر والحركة البروتستانتية الرافضة للكاثوليكية والمسيحية التقليدية.

بدأ التغلغل اليهودي في المجتمعات الأوروبية بعد أن حمل يهود الأندلس أضخم ثروة مالية وأكبر ثروة علمية إلى تلك المجتمعات حيث أسسوا من

خلالهما ذلك التغلغل الذي وصل إلى الكنيسة نفسها. وأصبح واضحاً أن الأدبيات اليهودية احتلت الموقع الأفضل في معركة ما يسمى الإصلاح الديني - البروتستانت..

في عام ١٥٢٣ نشر مارتن لوثر زعيم حركة ما يسمى الإصلاح ورائد المذهب البروتستانتي كتاباً باسم (عيسى ولد يهودياً) قال فيه (إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الله ونحن الضيوف الغرباء، ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها).

لقد أدرك اليهود قبل ذلك أن الاضطهادات المسيحية الغربية الكاثوليكية لليهود لن تنتهي إلا بتدمير كثير من المبادئ المسيحية التي مازالت تؤثر في موقف هذه المسيحية من اليهود. خاصة أن الكاثوليكية البابوية كانت تنظر إلى اليهود على أنهم الخطر الداهم على مصالحهم المالية والإقطاعية. ولن يتم اختراقهم للمسيحية الغربية والسيطرة عليها إلا من خلال خلق تيار مسيحي عريض يؤمن بالتوراة قبل الإنجيل، ويؤمن باليهودية على أنها الأصل وتؤمن بأن اليهود شعب الله المختار.

ولما كانت ألمانيا ودول غرب أوروبا قد دخلت المسيحية متحللة من التعاليم المسيحية الصحيحة وهي في الأساس أقرب إلى الوثنية منها إلى التوحيد الشرقي - فقد كان من السهل استجابتها لأفكار أطلقوا عليها إصلاحية. وكان من السهل جداً أن يدخل الفكر اليهودي التحريفي إلى عقولهم ونفوسهم وتعاليمهم الدينية.

ولهذا كله نرى أن ما قاله مارتن لوثر في التوراة واليهودية وجد صداه بسرعة في أوساط ألمانيا والعالم العربي. وما إن انتشرت أفكاره حتى باتت

الكنيسة الكاثوليكية ضعيفة. وما إن ظهر جون كالفن الذي يعتبر تلميذاً لمارتن لوثر حتى صار الجو السائد ممهداً لقيام ثورة دينية انقلابية في أوروبا كلها.

وقد ركز اليهود المتنفذون وكبار الحاخامات على بث عدد من الأسس في الأوساط المسيحية الغربية من خلال الحركة البروتستانتية حتى تكون تمهيداً لتغيير الموقف الكلي لأوروبا من اليهود وفلسطين والقدس. ويمكن إجمال هذه الأسس تحت ثلاثة أعمدة رئيسية:

الأول: اعتبار اليهود شعب الله المختار وهم يشكلون الأمة المفضلة في الأرض.

الثاني: اعتبار ما جاء في التوراة حول وعد الرب لبني إسرائيل بتملك أرض فلسطين وعداً إلهياً لا يمكن المساس به أو تغييره.

الثالث: قيام كيان يجمع اليهود في أرض فلسطين انتظاراً لقدوم السيد المسيح ليقود الأمة اليهودية ويتملّك عليها ألف سنة.

وفي إطار هذه الأسس برزت المواقف الدينية البروتستانتية وراحت تبعث في عقلية السياسيين الغربيين هذه المقولات حتى تصبح إيماناً راسخاً لديهم وليس مجرد ستار لإخفاء المصالح والنوايا الاستعمارية. وبمعنى من المعاني فإن اليهودية استطاعت تهويد العقل البروتستانتي حتى جعلت كالفن وغيره يدعون إلى تغيير كثير من المبادئ الأساسية في العقيدة المسيحية الغربية. وكذلك إلى تغيير كل المواقف السياسية تجاه الآخرين من أبناء الشرق الإسلامي.

لقد اعتمدت الكنيسة الكاثوليكية مواقف مختلفة تجاه اليهود منذ تبنت روما المسيحية فهذه الكنيسة كانت تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على ما يدعونه من صلب

المسيح. وكانت الكنيسة تعتقد أيضاً أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الملك الفارسي قورش. وقد كان على رأس هذا الاعتقاد القديس أوغسطين الذي كان يعتبر القدس مدينة العهد الجديد وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين.

وعندما بدأت الحركة البروتستانتية تنشر أفكارها رفضت مقولات الكنيسة الكاثوليكية حول اليهود وحول ارتباط المسيحيين بالقدس وأرض فلسطين. وكان من الطبيعي أن يفعل اليهود كل جهدهم لتغيير مبادئ الكاثوليكية المرتبطة بفلسطين حتى توجّه الأنظار فقط نحو علاقة وحيدة بين اليهود وأرض فلسطين.

ولعل الحروب الصليبية التي بدأت مع مطلع القرن الحادي عشر واستمرت قرابة المائتي عام حولت الكنيسة الكاثوليكية كلياً إلى ربط القدس وفلسطين بالعالم المسيحي الغربي دون اليهودية. فكان على اليهودية بذل جهد كبير حتى ينسفوا هذه المقولات وكان البروتستانت الأداة الفعالة القوية في هذا التغيير.

طرحت البروتستانتية أولوية العهد القديم (التوراة) باعتباره المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود كذلك اعتبرت اللغة العبرية ـ باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله ـ واللسان المقدس الذي خاطب به شعبه المختار ـ هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية.

في ذاك الوقت كان لابد من التأثير القوي بالمراكز السياسية العليا في أوروبا. وكان على رأس الحكم في بريطانيا الملك هنري الثامن وبعد التأثير اليهودي والبروتستانتي القوي في الأوساط البريطانية تبنى هذا الملك أفكار البروتستانت فأعلن انفصاله عن الكنيسة الكاثوليكية في روما وحينها أصبح ثقل الدعوة البروتستانتية في بريطانيا حيث بدأت تظهر وبشكل قوي دعوات

الصهيونية المسيحية على يد كبار المفكرين والسياسيين الإنجليز.

وتظهر أول دعوة لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين على يد عالم اللاهوت اليهودي البريطاني توماس برايتمان ١٥٦٢ ـ ١٦٠٧ ـ فقد نشر كتاباً قال فيه (إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين ليعبدوه من هناك حيث يفضل الله أن تتم عبادته على أي مكان آخر). وقد لاقى كلام هذا الكهنوتي صداه لدى الكثيرين من الإنجليز سياسيين ومفكرين وكان على رأس هؤلاء المدعو (هنري فنش) الذي قال في كتاب صدر له عام ١٦٢١ (ليس اليهود قلة مبعثرة. بل إنهم أمة. ستعود أمة اليهود إلى وطنها. وستعمر كل زوايا الأرض وسيعيش اليهود بسلام في وطنهم إلى الأبد).

وهنا نستطيع القول: إن اليهودية منذ القرن السادس عشر تجاوزت حدود العقيدة الدينية وأصبحت لدى الغربيين أمة ورمزاً للقومية وتحول معهم التوراة من كتاب ديني إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة احتلال أرض فلسطين المقدسة وتسليمها للشعب المختار ـ اليهود ـ.

في ظل هذا العهد استطاعت اليهودية والبروتستانتية أن تخرّج أتباعاً لأفكارهما من رجال الدين والسياسيين والأدباء وسميت هذه الفترة بالمرحلة البيوريتانية وبلغت أوجها في القرن السابع عشر إذ يعتبر هذا القرن العصر الذهبي لهذه المعتقدات وفي هذه المرحلة ظهرت طبعة الملك جيمس للكتاب المقدس. وصار هذا الكتاب في متناول كافة الناس ولكلٍ الحق في تفسيره كما يشاء. وبذلك ضُربت الكنيسة الكاثوليكية في الصميم حيث كان هذا الكتاب حكراً على الكنيسة ورجال دينها.

وحتى تصبح لأفكار اليهودية البروتستانتية ذات فاعلية كان لابد أن يظهر التركيز على الجانب السياسي حيث فيه تتحقق الأطماع العملية في التوجه

لاستيطان فلسطين في بريطانيا وتحت ظل هذه الأفكار برز التيار الجمهوري الذي يقوده البيوريتانيون والذي كان أحد أهم وأبرز نتائج التغلغل اليهودي في الفكر البروتستانتي. وعلى الرغم من أن الملكية في بريطانيا أصبحت بشكل ما بروتستانتية إلا أن اليهود الذين خططوا لتدمير المسيحية كعقيدة راحوا ينفذون مخططاً سياسياً لتدمير كافة بقايا الأفكار الكاثوليكية والمسيحية المعادية لليهود. فدفعوا باتجاه خلق تيار جمهوري بروتستانتي لتغيير البنية السياسية البريطانية وذلك عن طريق عدد من الشخصيات الهامة في بريطانيا. كان على رأسها أوليفر كرومويل.

ويعتبر كرومويل أول أهم سياسي بريطاني يتبنى مضمون مذكرة قدمها من هولندا عالما اللاهوت البيوريتيان (التطهيريان) الإنجليزيان جوانا وأليزر كارترايت وهذه المذكرة قدمت للحكومة البريطانية طالبا فيها بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأرض المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم ومنحهم إياها إرثاً أبدياً.

وكان كرومويل على مدى عشر سنوات ١٦٤٩ ـ ١٦٥٨ رئيساً للمحفل البيوريتاني وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر عام ١٦٥٥ في (الهوايت هول) للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا وإلغاء قانون النفي الذي اتخذه الملك إدوارد. وحضر المؤتمر إلى جانبه العالم اليهودي مناسح بن إسرائيل الذي ربط الصهيونية المسيحية بالمصالح البريطانية الاستراتيجية.

لقد ظهر جلياً أن العصر الذي شهد قوة الربط بين اليهودية والبروتستانتية هو عصر التفسخ في البنى الاجتماعية والدينية الأوروبية وكذلك عصر بروز التوجه الاقتصادي الجديد للأوروبيين. فالكنيسة لم تعد ذات سلطة على التوجه الرأسمالي الجديد وانحسر نفوذ الإقطاع لصالح فئات جديدة. وهذا يعني أن

رأس المال اليهودي سيكون له دور الحسم في التأثير الكلي على توجهات القوة البروتستانتية التي تبنت أفكار جون كالفن وكروميل وفينش وغيرهم ممن تبنوا اليهودية تبنياً سياسياً.

وحين طرح العلماء اليهود وكذلك المفكرون ربْط اليهودية بالمصالح الاستراتيجية البريطانية والغربية تحمس كروميل لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر. وبدا واضحاً أيضاً أن توظيف الدافع الديني لتحقيق مكاسب سياسية ذات بعد استراتيجي أسَّس القاعدة الثابتة للصهيونية المسيحية أولاً في بريطانيا وأوروبا ثم في الولايات المتحدة الأمريكية.

والقارئ لأحداث القرن الخامس عشر وكذلك السادس عشر وما بعده يدرك أن اليهودية التي انبعثت من جديد على يد كروميل وأمثاله قد دفعت إلى حروب أهلية في كل من بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وغيرها من البلدان وذلك على خلفية الصراع الكاثوليكي البروتستانتي.

وقد روّج كروميل وبعض اللاهوتيين البروتستانت أفكاراً دينية غريبة ومستهجنة وهذه الأفكار ترى أن المعاناة التي واجهتها بريطانيا في الحرب الأهلية التي سبقت ظهور الحركة البيوريتانية مردها إلى غضب الله بسبب سوء معاملة اليهود.

وقد استفادت اليهودية من ترويج تلك الأفكار حتى أدخلتها في العقل الأمريكي. وعلى سبيل المثال فإنه يروّج اليوم لمثل هذه الأفكار في الولايات المتحدة الأمريكية بالإدعاء بأن الله ينعم على أمريكا بالثروة بسبب تأييدها لليهود ودعمها للكيان الصهيوني.

ونلاحظ في هذا السياق أن اليهودية استطاعت بشكل مريع أن توظف حتى الأساطير في خدمة مشروعها الرامي إلى دفع الغربيين ليصبحوا منفذين طيّعين

للمشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين.

وقد انتشرت الدعوات البروتستانتية ليس في بريطانيا وحدها بل لحقتها هولندا خاصة بعد الحرب الأهلية والحرب الدينية بين الكاثوليكية الإسبانية والبروتستانتية الألمانية التي انتهت بهزيمة القوات الكاثوليكية عام ١٥٦٥ ـ ١٦٠٦. وهذا يعني انتصار التيار المسيحي البروتستانتي المؤيد والمتحالف مع اليهود دينياً وسياسياً وبعد ذلك استطاعت الأيدي اليهودية بالاشتراك مع البروتستانتية أن تعلن الجمهورية في هولندا على أساس المبادئ البروتستانتية الكالفينية. ورافق ذلك التحول انتشار الأفكار الصهيونية المسيحية وعلى رأسها مساعدة اليهود في استيطان فلسطين. وعم تيار المسيحية الصهيونية كل أوروبا تقريباً حتى إنه صدر في فرنسا كتاب للعالم الفرنسي فيليب جنتل دي لانجلير دعا فيه إلى مقايضة السلطان العثماني مدينة القدس بمدينة روما تسهيلاً لتوطين اليهود في فلسطين وصدرت كتب مماثلة في ألمانيا واسكندنافيا وخاصة في السويد والدانمارك.

وحين نلاحظ هذا الطرح ندرك مدى عداء اليهودية والبروتستانتية للكنيسة الكاثوليكية. فاستبدال القدس بروما يعني القضاء على مركز الفاتيكان ـ أي مركز الكاثوليكية ـ وهذا يعني أيضاً تضحية البروتستانتية بروما مقابل حصولهم على القدس كمركز لليهودية والصهيونية المسيحية البروتستانتية. لقد بلغ العداء البروتستانتي اليهودي للفاتيكان والكاثوليكية حداً أعاد للأذهان المذابح والمجازر التي ارتكبت بين المذاهب المسيحية في القرن الثالث والرابع والتي كان لليهودي المسيحي بولس الأثر البالغ في حدوثها، مما يعني أن اليهودية ومنذ المسيحية الأولى ظلت تعمل جاهدة لتدمير المسيحية من داخلها بخلق أفكار تدميرية وتيارات جديدة تثور في وجه الكنيسة الكاثوليكية التي كانت معادية لليهود.

ولم تنقطع دعوة كروميل وأمثاله في بريطانيا وظلت حية في الذهنية البريطانية حتى تأسست (جمعية لندن) لتعزيز المسيحية بين اليهود في عام ١٨٠٧ وكان اللورد أنطوني إشلي كوبر (إيرل شافتسبري) أحد أبرز أركانها. ففي العام ١٨٣٩ نشر مقالاً يقع في ثلاثين صفحة أكد فيه أن اليهود سيبقون غرباء حتى يعودوا إلى فلسطين وأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله بتسهيل هذه العودة. وأن اليهود هم الأمل في تجدد المسيحية وعودة المسيح. وفي هذا المقال يرفع أنطوني كوبر ولأول مرة شعار (وطن بلا شعب لشعب بلا أرض) ويلتقي مع كوبر في هذا الطرح عدد كبير من الساسة اللوردات البريطانيين الذين تربوا على أفكار كروميل من بينهم (دوق كنت) و(جلادستون) واللورد (بالمرستون) أبرز سياسي بريطاني يتبنى مشروع كروميل ومشروع (كوبر). وقد ساعد على ذلك التنافس بين فرسنا النابليونية وبريطانيا التي استعمرت الهند تجارياً. فراحت الأطراف البريطانية والفرنسية وغيرهما تتنافس لإرضاء اليهود وتعزيز الدعوة لقدومهم إلى فلسطين والمساعدة على تعزيز الاستراتيجية البريطانية الاستعمارية في الطريق إلى الهند أي تعزيز حماية مصالحها في مصر والسودان ومضيق باب المندب حيث لم تكن قناة السويس قد فتحت، وكانت بريطانيا تسعى لنقل تجارتها عبر البر المصري ثم إلى البحر الأحمر وصولاً إلى الهند.

وفي هذا السياق لابد أن نذكر أن فرنسا كانت تدعي حمايتها للأقليات الكاثوليكية في الشرق وروسيا تدعي حمايتها للأقليات الأرثوذكسية وكان طبيعياً أن يبحث بالمرستون والساسة البريطانيون عن أقلية تدعي بريطانيا حمايتها وقد وجد في اليهود ضالته المنشودة وبذلك تكاملت المصالح البريطانية الاستراتيجية مع الصهيونية المسيحية ووظفت النبوءات الدينية لتكون مدخلاً إلى تحقيق هذا التكامل. السياسي الديني. حيث كانت البروتستانتية أو الإنجيلية البريطانية قد سيطرت على السياسة والحكومة البريطانيتين وتحالفت دينياً واقتصادياً ومصلحياً

مع اليهود.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت بريطانيا عملياً بتطبيق تحالفها اليهودي الإنجيلي البروتستانتي. ففي عام ١٨٣٨ أنشأ بالمرستون أول قنصلية لبريطانيا في القدس وعين قنصلها وليم يونغ وهو صهيوني مسيحي. وفي ذلك الوقت تلقى بالمرستون مذكرة من الصهيوني المسيحي هنري إنس وكان وزيراً للبحرية البريطانية يدعو فيها دول أوروبا الشمالية وأمريكا للاقتداء بقورش وتنفيذ إرادة الله بعودة اليهود إلى فلسطين. وقد روجت الصحافة البريطانية لهذه المذكرة حتى بات واضحاً أن مشروع بالمرستون شق طريقه من أجل مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين.

وبدأ حملة غربية بروتستانتية مسعودة لتهجير اليهود إلى فلسطين. فقد قام القس هشلر وهو بريطاني ملحق بسفارة بلاده في فينا بتنظيم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين وقد عقد مؤتمراً مع بعض المسيحيين الإنجيليين في فينا من أجل هذا الموضوع. وقد وظف هذا القس جهده لمعاونة هرتزل لعقد مؤتمر بال عام ١٨٩٧ الذي كان أول مؤتمر يُعلن فيه عن تأسيس الصهيونية اليهودية.

وراحت السياسة البريطانية تطبق على أرض الواقع المشروع الاستعماري اليهودي لأرض فلسطين. وفي هذا الإطار التقى تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا ١٨٣٦ ـ ١٩١٤ بهرتزل في لندن وهو اللقاء الذي يعيد للأذهان لقاء كرومويل مع مناسح بن إسرائيل كتعبير عن تلاقي مصالح الصهيونية المسيحية مع الصهيونية اليهودية في تطلعاتها نحو أهداف مشتركة. وأرسى هذا اللقاء أهم علاقات بلفور مع الصهيونية اليهودية والتي كانت التمهيد الأساسي لوعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وحتى يتبين لنا مدى الاندماج الفكري الكلي بين الصهيونية المسيحية

واليهودية يتصدر لنا قول بلفور في مذكرته التي قدمها لحكومته البريطانية حول موضوع الاستيطان اليهودي في فلسطين:

يقول بلفور: (ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع ملتزمة بالصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل. جيدة أم سيئة. فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية وآمال المستقبل وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة). ومنذ عام ١٩١٧ بدأ الانتداب البريطاني ينفذ سياسة الاستيطان اليهودي في فلسطين حتى عام ١٩٤٨ وحدثت النكبة وأعلن عن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين.

ومما لا شك فيه أن الاختراق اليهودي للبروتستانت تُوّج في أمريكا حيث استطاع اليهود بالتحالف مع الكنائس البروتستانتية الإنجيلية تحويل أمريكا إلى يهودية العقيدة والفكر والسياسة وقد أفرز هذا التهويد عدداً كبيراً من اللاهوتيين والمفكرين والساسة الأمريكان الذين راحوا يتناولون التوراة على أنه المقدس الأوحد في العالم والعقائد. وعليه انطلقوا بأفكارهم وسياساتهم ينفذون أبشع تحالف استراتيجي بين اليهود والبروتستانت أو بين اليهود والمسيحية الغربية بشكل عام.

والواقع أن أمريكا تضم الآن أكثر من ٧٦ مليون بروتستانتي ينتمون إلى أكثر من مائتي طائفة وحركة وأكثر فئاتها عنصرية هي الطائفة التدبيرية التي تكرس مليارات الدولارات وآلاف الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة لخدمة أغراض الصهيونية اليهودية. ولعل من أشهر روادها بات روبرستون الذي يقدم برنامجاً تلفزيونياً يشاهده أكثر من ستة عشر مليون شخص، وجيمي سواجرت

الذي يدير ثاني أكبر محطة تلفزيونية في أمريكا في خدمة الأفكار الصهيونية وجيم بيكر ويملك ثالث أكبر محطة ويصل بثها إلى ستة ملايين منزل. وأورال روبرتس وجيري فولويل وكينيث كوبلاند الذي يرى أن (إسرائيل) الحديثة وصهيون الإنجيلية هما شيء واحد ويقول إن الله أقام إسرائيل... إننا نشاهد الله يتحرك من أجل (إسرائيل).

ولعل أهم ما طرحته الإنجيلية الصهيونية الأمريكية تدمير المسجد الأقصى وإقامة ما يسمى هيكل سليمان على أنقاضه. ووصل التحالف العقدي والسياسي بين اليهودية والبروتستانتية حداً لا يمكن لأحد في العالم أن يؤثر فيه.

وعودة على بدء فإننا نرى أن الاختراق اليهودي للمسيحية وصل ذروته في خلق عقيدة جديدة لا تمت بصلة إلى النصرانية أو إلى المسيحية الكاثوليكية لقد خلق اليهود عقيدة يهودية متطرفة في أوساط البروتستانتية. لا هي باليهودية الأصلية ولا هي بالمسيحية. إنما هي عقيدة تقوم على تفسير التوراة تفسيراً حرفياً أسطورياً وثنياً. ومن خلاله تُدخل الأهداف السياسية الاستراتيجية في أعلى مستويات السياسة الأمريكية الغربية. التي لم تكن يوماً سوى أداة فعالة لتدمير الإسلام والمسلمين على مدى القرن العشرين كله.

زيارة البابا لفلسطين.. هل هي الخطوة الأخيرة في تكريس المؤامرة اليهودية؟

فلسطين منذ الأزل وحتى قيام الساعة تظل أرض التصادم العقيدي بين قوى التوحيد وقوى البغي والشر. . هكذا نفهم أي تحرك عقيدي أو سياسي عالمي. وهكذا نفهم منطق القدسية التي أحاطها الله بهذه الأرض المباركة.

فلسطين دون الإسلام تفقد نصف أهميتها، ولكن المسيحية دون فلسطين تفتقد حتى لعقيدتها وفلسطين دون اليهودية لا تعني لليهود سوى مرتكز استراتيجي استعماري. أما أن يرسم اليهود فلسطين كمرتكز عقيدي واستراتيجي فهذا يعني الكثير الكثير.

ومن هنا يأتي تقييم زيارة البابا إلى فلسطين، ويأتي بالتالي موقف المسيحية من اليهود عبر ألفي عام. وكذلك من هنا يفترض أن ندرس المسألة في سياق التنافر أو التجاذب بين القوى الكبرى حول فلسطين إن كانت القوى دينية أو سياسية استعمارية واقتصادية ماذا تعني زيارة البابا لفلسطين بعد مضي أكثر من نصف قرن على قيام الكيان الصهيوني اليهودي وتشريد أبناء فلسطين في شتى بقاع الأرض؟

ماذا يعني أن يرافق البابا في الناصرة أو غيرها رئيس الكيان الصهيوني ورئيس الوزراء وكثير من المسؤولين السياسيين اليهود.

ثم ما الذي يختفي وراء قصة حوار الأديان التي طرحها البابا وهو يؤدي صلاته في كنيسة القيامة؟

ثم ماذا تعني زيارة البابا لحائط البراق. وهو لا يعترف إلا بما يسمى حائط المبكى ثم ماذا يعني أن يضع ورقة يعترف فيها بأخطاء المسيحية تجاه اليهود ويطلب الغفران من الرب على الرغم مما صنعه اليهود أنفسهم بالأمم والشعوب من مسيحيين ومسلمين؟ هل تكفي زيارة البابا للمسجد الأقصى كي نقول إنه اعترف بحق الفلسطينيين المسلمين بالسيادة على هذا المسجد؟ أليست زيارته لحائط البراق اعترافاً بما يسمى حائط المبكى والوجود اليهودي المتسيد في فلسطين. وما الذي يفصل الأقصى عن حائط البراق أليس هما جزءاً واحداً ذا كيان جغرافي وبنائي واحد؟ ألم تكن الزيارة موجهة لحائط المبكى وليس لحائط البراق، فأهل الحائط الأحقُّ به هم الشعب اليهودي المقدس وليس المسلمون وبالتالي فالأقصى هو العرضي الطارئ، والهيكل الذي يشكل الحائط المُزار من قبل البابا جزءاً منه هو الأساس والأصيل!! أهي دعوة لنسف المسجد الأقصى مسجد المسلمين الطارئ وإرجاع الأمر إلى أصله إلى الهيكل الذي زار البابا أحد جدرانه وقدم لليهود اعتذاره!

ما الذي تغير في اليهود حتى يبرئهم البابا من عدائهم للمسيح أليست تبرئتهم دعوة لكافة مسيحيي العالم العربي وغيره للقبول باليهود دون أي اتهام لهم بقتل الأنبياء والإفساد في الأرض وإشاعة المجازر في أبناء الأمم والشعوب وخاصة أبناء فلسطين والأمة العربية والإسلامية؟ وأسئلة كثيرة وغيرها لابد من طرحها في هذا الإطار.

لماذا استنكف معظم حاخامات اليهود عن استقبال البابا أو حتى الالتقاء به على هامش زيارته؟

اليهود اليوم واليهود في الأمس. كم كانت مؤامرتهم كبيرة حين أشاعوا أنهم قتلوا المسيح وكم كانت مؤامرتهم كبيرة حين راحوا ومنذ ألفي عام يعملون

على تغيير مسار الرؤية المسيحية حتى وصلوا بالنهاية إلى إقناع الكنيسة الكاثوليكية أنهم شعب الله المختار وأن على الكنيسة الكاثوليكية أن تعترف أن العقيدة المسيحية من دون العهد القديم (التوراة) تفقد نصف عقيدتها وتفقد مبرر انتمائها للمسيح الذي هو حسب الرؤية المسيحية يهودي من بني هؤلاء اليهود. ما يعزز إحساسهم دون وجه حق بالتفوق العنصري تجاه باقي الأمم.

لذلك كله فإن الدارس لأبعاد زيارة البابا يجد نفسه سائراً في شبكة معقدة من الطرقات والتعرجات التي قد تفضي بالنهاية إلى القول إن الغرب غرب والشرق شرق، لا يمكن أن يصبح الغرب شرقاً والشرق غرباً طالما أن المحك الأصيل والصحيح هو موقع فلسطين من الإسلام وموقع الإسلام من القدس وفلسطين.

إذاً كيف نقيم الأبعاد تلك في ضوء رؤيتنا الخاصة تجاه المسألة بكل جوانبها؟ أما من الناحية العقيدية فعلينا أن نفهم قبل غيرنا وبشكل دقيق ومعمق أن المسيحية الغربية وعلى رأسها البروتستانتية والكاثوليكية لا يمكن أن تفصل إنجيلها عما يسمى العهد القديم (التوراة). فهي حين تتحدث عن نبوءات أنبياء العهد القديم وخاصة نبوءات إشعيا تربطها وبشكل بدهي بميلاد المسيح وأعماله ونبوءاته وحتى إلهيته كما يراها أصحاب العقيدة المسيحية. فكل ما جاء به سفر إشعيا يخدم بشكل مفصلي الرؤية المسيحية للمسيح وكل ما يرتبط به من عقيدة. وحين ننظر فيما يُسمى بأعمال الرسل الملحق بالأناجيل الأربعة نرى الاتكاء الكلي على تفسير ما جاء في أسفار التوراة منذ أسفار موسى الخمسة وحتى أسفار أنبياء السبي البابلي وهنا يكمن الرعب وتكمن أبعاد الرؤية المسيحية تجاه اليهود. فالكاثوليكية وعلى رأسها البابوات والمجامع تفسر العهد القديم تفسيراً تأويلياً بحيث يخضع النص التوراتي لتفسيرات مسيحانية تخدم التفسير المسيحي للمسيح وأمه العذراء وكذلك أعماله وأقواله بينما البروتستانتية تفسر العهد القديم

تفسيراً حرفياً وعلى رأس هذا التفسير قولهم إن «إسرائيل» تعني «إسرائيل» القائمة على أرض فلسطين وليست «إسرائيل» السماوية كما يقول الكاثوليك في تأويلاتهم وتفسيراتهم الرمزية.

فالمنظار الكاثوليكي والمنظار البروتستانتي يلتقيان في المحصلة والنتيجة. «إسرائيل» يجب أن تكون، في الأرض أما في السماء أم في أي كون كانت!!.

ولكن.. مع كل هذا الوجود المعترف به عقيدياً ورسمياً من قبل المسيحية ألا يخطر في الذهن سؤال يقول: كيف نوفق بين ارتباط المسيحية بالعهد القديم وبين ما درجت عليه من قولها إن اليهود مسؤولون أمام الرب والعالم عن دم المسيح؟ إننا نرى المسألة مرتبطة بطبيعة المسيحية الغربية. ونحن نعتقد أن المسيحية الشرقية هي التي اكتوت بنار الحقد اليهودي الدموي. فالمسيحية الغربية لم تتعرض للاضطهاد اليهودي تحديداً بل العكس تماماً أي أن المسيحية الغربية هي التي اضطهدت اليهود بعد أن تنصّر الإمبراطور قسطنطين وأمه هيلانه في القرن الثالث الميلادي. فالذين شاهدوا عن كثب عداء الفريسيين اليهود للسيد المسيح هو مسيحيو الشرق وهم أنفسهم الذين أعدموا في الإسكندرية وأنطاكية وغيرهما بعد أن انتشروا يبلغون المسيحية للشعوب. وعلى هذا فإن المشكلة ـ مشكلة الصراع العقيدي ـ هي حتماً تقع بين مسيحيي الشرق واليهود. وليس بين مسيحيي الغرب واليهود. وأعتقد أن ما دوّن في الأناجيل من أحداث حول عداء اليهود للمسيح يشهد أن أي مسيحي يهادن اليهود وينسى خطاياهم ومؤامراتهم على السيد المسيح يبيع المسيح بلا ثمن ويخون مبادئه ويرتد عن طريقه، طريق الآلام والمعاناة التي عاشها وهو يقاوم الكتبة والفريسيين والوثنيين الرومان.

وحسب قول الأناجيل فإن يهوذا الاسخريوطي تلميذ المسيح يسمى الخائن لأنه باع المسيح لليهود والوثنيين بثلاثين قطعة من الفضة. فماذا تقول عندما نرى بعد ألفي عام من يبيع المسيح لليهود ومبادئه بلا ثمن؟؟

المسيح قال في الأناجيل إن الهيكل سيصبح خراباً وقال لامرأة لن تري حجراً على حجر في هذا المكان (الهيكل) ألم يقل المسيح ذلك نتيجة معرفته بأن إفساد اليهود وفسادهم سيغضب الرب وينتقم منهم. فكيف بنا اليوم نرى الفساد اليهودي في أعلى درجاته ونرى البابا أمام حائط البراق الذي يدعونه حائط المبكى ويضع ورقة اعتراف بالخطايا عليه. أليس ذلك دعوة لتشييد ما يسمى الهيكل المزعوم ليكون الحائط أحد جدرانه الأساسية. هل رجع اليهود إلى جادة الصواب العقيدي حتى يرى البابا فيهم رؤية جديدة غير رؤية السيد المسيح؟ أم أن المسيحية الغربية بسبب طبيعة فهمها تقيّم الأمور من بعيد فلا تعير اهتماماً بالموقف اليهودي العدائي والسلوك العدواني تجاه المسيح ودعوته؟

لقد تلقت روما وكذلك اليونان المسيحية عن بولس وبعض من يسمون الرسل وتبنت هذه البلدان المسيحيةبشكل واسع في القرن الثالث الميلادي وبدل أن يتوجه المسيحيون الجدد نحو تأصيل المسيحية الصحيحة راحوا يفلسفون العقيدة المسيحية حسب تعاليم بولس الذي كان أول من قال بأن للمسيح طبيعتين ناسوتية وإلهية وانشغلوا في أفكار عقيدية لا تمت بصلة إلى فهم طبيعة الصراع بين المسيح عليه السلام وبين اليهود.

ولعل أخطر ما فعلته الكنيسة الغربية هو جعل روما مركز الإشعاع المسيحي حسب ما يقولون. لقد كانت القدس منبت المسيحية ففيها بدأت دعوة المسيح وفيها أقيمت أول كنيسة بعد رفع المسيح. وبدل أن تبقى القدس مركز توجه المسيحيين من كافة أنحاء العالم انتقلت قدسية المسيحية جغرافياً إلى روما

وبدل أن يكون المرجع الروحي المسيحي في القدس أصبح في روما. وابتدعت صيغة البابا من قبل الكنيسة الغربية.

وإذا رجعنا إلى دراسة كافة شخصيات البابوات التي توارثوا الفاتيكان فإننا لن نعثر على أي واحد منهم من أصل عربي أو شرقي. وهذا بالطبع ما يجعلنا نقول إن الكنيسة الغربية تمثل نفسها أي أنها تمثل المنظور الغربي ـ منفصلاً ـ في العقيدة المسيحية.

ولهذا كله نرى موقف الكنيسة الأرثوذكسية المرقصية يختلف جذرياً عن موقف الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية الغربية. وحتى أثناء زيارة الباب لفلسطين صرخت أصوات أرثوذكسية تنكر عليه تسامحه مع جرائم اليهود ضد النصرانية. بل إن هذه الكنيسة اعتبرت تحولات الكاثوليكية الغربية تجاه اليهود خيانة لدم المسيح وخيانة للمسيحية.

إن ما فعله البابا من زيارة لما يسمى حائط المبكى واعترافه بالكيان اليهودي يتعارض كلياً مع ما اتفق عليه بطريرك القدس والخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يسمى بالعهدة العمرية والتي تنص حسب طلب البطريرك على ألا يساكن اليهود النصارى في بيت المقدس. وهذا العهدة معروفة حتى لدى الفاتيكان والأوساط المسيحية جميعها. إن ما قام به البابا يلتف عن هذا الاشتراط الذي شرطه نصارى القدس بل ويبدي ازدراءه للاتفاق المذكور.

ولا شك أن تحولات الكاثوليكية على يد البابا بولس الثاني قد أحدثت شرخاً كبيراً في موقف المسيحية الشرقية تجاه الصراع مع اليهود والكيان الصهيوني. فهناك كتلة ضخمة من المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت في الوطن العربي. وهذه الكتلة تتبع عقيدياً للكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان التي يرأسها البابا. ومن الممكن ان تقوم هذه الكتلة الكاثوليكية الشرقية أو العربية

تحديداً أن تعيد النظر في تبعيتها للفاتيكان. وعندها لابد أن تعيد النظر في تحولات البابا وكنيسته تجاه اليهود. ولا شك أن ذلك سيفضي إلى إعادة صياغة جديدة للمسيحية الشرقية تضع في اعتبارها الأول عدم مصالحة اليهود وعدم الاعتراف بالكيان الصهيوني مهما كان الثمن ومهما كانت التحولات.

ماذا تعني زيارة البابا لفلسطين في الإطار السياسي؟

إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل القوى الغربية في صراعها مع الشعوب قاطبة فإن الفاتيكان تمثل القوى المسيحية الكاثوليكية الغربية العالمية في تعاملها مع شعوب الأرض أيضاً.

فعندما تنحاز أمريكا للكيان الصهيوني والقوى المعادية للإسلام فإن ذلك يعني أن القوى الغربية جميعها تنحاز بشكل تلقائي لذلك الكيان. وأوروبا بكل ما فيها من مظاهر الشكوى ومحاولة التخلص من القيادة الأمريكية لها لا تزال تخضع لتوجهات أمريكا ومواقفها تجاه أكبر مشكلة عرفها القرن العشرون وهي قضية فلسطين.

وعندما يقوم البابا بزيارته لفلسطين فإنه يعين أن عالم المسيحية الكاثوليكية العالمية يعترف بالكيان اليهودي الصهيوني كدولة قائمة لها وجودها وسلطتها وأرضها دون أي اعتبار لأي شيء آخر ويعترف لليهود بالسيادة على القدس رمز الأرض المباركة وفي موقع القلب منها الفاتيكان دولة بكل المقاييس لها رئيسها وهو البابا ولها مقعدها في الأمم المتحدة ولها أيضاً سفراؤها المعتمدون في كافة أرجاء الدنيا. وعندما يقوم رئيس هذه الدولة بزيارة إلى أي بلد في العالم يعامل معاملة الرؤساء والملوك أياً كان حجمهم وأياً كانت بلادهم.

زيارة البابا لفلسطين أحيطت بكلام لا يتجاوز البعد الديني إلا قليلاً.

فوسائل الإعلام جميعها قالت بأن الزيارة دينية وتدخل في نطاق ما أسموه الحج البابوي إلى الأماكن المقدسة.

صحيح أن الفاتيكان دولة لها طابعها الديني ولكنها تمثل حسب ما تفترضه الكاثوليكية مليار مسيحي منتشرين في كافة أرجاء الكرة الأرضية. فأي موقف يصدر من البابا هو بمثابة تمثيل لكافة مواقف الملايين من الكاثوليك.

فهل تتوقف زيارة البابا لحائط البراق (ما يسمى عند اليهود بحائط المبكى) عند بعدها الديني. هل يفهم اليهود أن وضع ورقة استغفار على جدار الحائط تدخل في الإطار الديني فحسب؟ وهل اعتراف البابا بجرائم المسيحية الغربية ضد اليهود لا يتجاوز المسألة الدينية؟

ماذا يعني استقبال البابا من قبل عزرا وايزمان وباراك وأركان السلطة في الكيان الصهيوني؟ إن كان الأمر ينحصر في دائرة البعد الديني فلماذا لم يقم حاخامات اليهود وحدهم باستقبال البابا دون السياسيين؟ علماً أن لليهود حاخامهم الأكبر وهو ذو سلطة دينية نافذة في الكيان الصهيوني؟

وايزمان وباراك يستقبلان البابا كرئيس دولة ويريدان منه موقفاً سياسياً تجاه الكيان الصهيوني وهم ليسوا بحاجة إلى موقف ديني طالما أنهم لا يعيرون اهتماماً للبعد الديني المسيحي الغربي لأنهم يعرفون تماماً أن أوروبا وأمريكا تخضع لسطوتهم السياسية والمالية.

عرفات أيضاً يستقبل البابا ويقبل يده ويردد أمامه مقولات التوراة التي تقر وتعترف بأن لليهود حقاً في فلسطين. وعرفات ليس بحاجة لموقف فاتيكاني ديني بل بحاجة لموقف سياسي يدعم استجداءه واستعطاءه لليهود حتى يمنّوا عليه بالفتات المسموم.

إذاً فزيارة البابا ذات الطابع الديني كما يقولون تحمل في جوهرها البعد

السياسي الواضح والذي يدل عليه لقاؤه وخطاباته وتنقلُه في الناصرة وحائط البراق وبيت لحم والقدس.

ولكن هذا البعد في ميزان الجدوى والمصالح والأبعاد الاستراتيجية يُكرس في صالح الكيان الصهيوني وليس في صالح الفلسطينيين أو صالح المسلمين.

بالمحصلة فإن الفاتيكان تبقى دولة، دولة أوروبية غربية. في أبعادها النفسية والفكرية وحتى البشرية لا يمكن تبرئتها منا ارتكبته أوروبا الغربية في حق العرب والمسلمين وقضيتهم الأولى قضية فلسطين.

وحين نسمع البابا وهو يعتذر عن كافة المسيحيين لما اقترفوه من جرائم في حق اليهود وغيرهم عبر ألفي عام يتناسى تماماً ما اقترفه اليهود بحق المسلمين والمسيحيين وبحق المسيح بالذات من جرائم عبر أكثر من ثلاثة آلاف عام.

فكما اعتذرت ألمانيا لليهود وكذلك بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وحتى روسيا بعد انهيار السوفيات تأتي الفاتيكان لتعتذر لليهود متجاهلة التاريخ والدور اليهودي الشرير فيه وإذا تحولنا إلى حقيقة الأبعاد السياسية لزيارة البابا وموقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود والكيان الصهيوني خلال توليه عرش البابوية ندرك أن هذه الكنيسة تمثل موقفاً أوروبياً واضحاً من قضية فلسطين وقضايا المسلمين وموقفاً منحازاً لليهود والكيان الصهيوني ويكفي من الفاتيكان أن يقول البابا إن اليهود بريئون من دم المسيح ليشكل منعطفاً خطراً في تحريف التاريخ اليهودي الدموي وجعله تاريخاً نظيفاً من كل الجرائم البشعة التي ارتكبها اليهود عبر التاريخ. ويكفي من البابا أن يقول إن المسيح يهودي ومن أبناء اليهود ليشكل انحرافاً في المسار النفسي المسيحي وقلباً لمفاهيم ظلت راسخة في الضمير المسيحي مدة ألفي عام.

وتأتي تحركات البابا ضمن التحرك الأمريكي الأوروبي الذي يرفع شعار العولمة والانفتاح وما يسمى حوار الحضارات والأديان. ولا يستطيع المحلل أن يفصل دعواته المشابهة عن تلك الدعوات الأمريكية الأوروبية والمقصود من ورائها إذابة هوية الشرق الإسلامي ضمن رؤية غربية واضحة.

وحين نسمع بعض السذج الذين قالوا بأن زيارة البابا للمسجد الأقصى هو اعتراف صريح بسيادة الفلسطينيين عليه. يثير قولهم العقل والمشاعر والمضحك والمبكي. فكأنهم ينتظرون رئيس دولة الفاتيكان ليعترف بسيادة الفلسطينيين عليه. ومتى كان المسلمون بحاجة إلى شهادة الغرب كي يكونوا أسياداً على مسجدهم الأقصى. ومتى كانوا بحاجة إلى اعتراف الكنيسة الكاثوليكية أو الحاخامية اليهودية العليا بسيادتهم على أقدس بقعة إسلامية بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف؟

إن الاعتراف الضمني وغير الصريح بسيادة الفلسطينيين على المسجد الأقصى لا يعني الاعتراف بالأرض المباركة ـ فلسطين ـ ملكاً للمسلمين العرب. فيكفي أن نذكّر أن زيارة البابا للناصرة ومرافقة المسؤولين الصهاينة له فيها يعني الاعتراف العلني بالكيان الصهيوني وبدولة الكيان. فلا وجود لفلسطين ولا وجود لشعب فلسطيني له حق العودة على أرض فلسطين وإقامة دولته الكاملة عليها. إن ما فعله البابا من الناحية السياسية إقرار واعتراف بالكيان اليهودي. وزيارته لحائط البراق (ما يسميه اليهود حائط المبكى) إقرار بحق اليهود المزعوم إقامة ما يسمى الهيكل. على جزء من المسجد الأقصى.

إن دولة الفاتيكان كأي دولة لها سيادة ومعترف بها عالمياً لابد أن تُحكم بمعاهدات ومواثيق دولية. وهي مسؤولة أمام العالم بتنفيذها لهذا المواثيق. وهذه الدولة ارتبطت في زمن البابا يوحنا بمواثيق ومعاهدات مع الكيان

الصهيوني وكأنه كان لا ينقصنا ـ نحن الفلسطينيين ـ على وجه التحديد سوى اعتراف الفاتيكان بدولة الكيان الصهيوني حتى تكتمل دائرة تضييع فلسطين وإضاعة حق الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم والعيش فيها بحرية بعيداً عن التسلط الصهيوني.

وحين نسمع بعض السذج وهم يقولون إن البابا اعتراف بنا كفلسطينيين أسياداً على أرض الضفة وغزة فإن المضحك المبكي يقول إذا كان البابا اعترف بسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني فهذا لا يخرج عن نطاق اعتراف اليهود أنفسهم بهذه السلطة، وهذه السلطة أقرت بأن «إسرائيل» دولة لها سيادتها على الأرض. وكل ذلك أي ما يقوله اليهود وما يقوله العالم الغربي وما يقوله البابا وما تقوله السلطة الفلسطينية لا يخرج عن دائرة واحدة محددة. هي دائرة الاعتراف بالكيان الصهيوني وإسقاط حق الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم وإزالة كل أشكال الوجود الاستعماري اليهودي على أرض فلسطين.

إن المنطق بالمقياس الغربي والصهيوني يقول طالما أن البابا الذي هو رأس الكنيسة الكاثوليكية في العالم اعترف بالكيان الصهيوني كدولة وبحائط البراق (حائط المبكى) كجزء من هيكل اليهود المزعوم فإن الفلسطينيين مرغمون على قبول الوجود اليهودي في دولة ذات سيادة وإن العرب مجبرون عالمياً على الاعتراف بهذا الكيان كأمر واقع.

على أية حال فإن لنا نحن ـ المسلمين ـ الذين نرتبط بفلسطين وبالقدس ارتباطاً قرآنياً ربانياً وجهة نظر أخرى لنا الحق في طرحها فيما بيننا أولاً وفي بلاد الأرض قاطبة ثانياً إن اليهودية التي عُرفت عبر التاريخ بمعاداتها لعقيدة التوحيد وعنصريتها وقتل أتباعها للأنبياء وارتكاب جرائم بحق الإنسانية لا تعد ولا تحصى استطاعت أن تبتدع البروتستانتية لتكوّن ما يسمى الصهيونية المسيحية في

أوروبا وأمريكا. بعدما نجحت في إحداث انقلاب سياسي وعقائدي في الجزر البريطانية عن طريق الثورة التي قام بها كرومل كما استطاعت أن تتسلل إلى الثورة الفرنسية لتضرب الكاثوليكية في العمق وكان حشر البابا ورقة اعتذاره لليهود في شقوق ما يطلقون عليه حائط المبكى آخر مظاهر استسلام البابوية لليهودية، ثم اتخذت من الثورة الشيوعية في روسيا قاعدة الكنيسة الأرثوذكسية عام ١٩١٧ أداة هائلة لضرب الكنيسة المذكورة باعتبارها آخر القلاع المعادية لها في الغرب. وهكذا استبطنت اليهودية الكنيسة الغربية وانداحت لتلتف حول أوروبا والعالم أجمع بتأثيرها وأخذ العالم يسمع بمعارك مخيفة كهر مجدون وغيرها من صور الرعب والدمار ويرى كيف تعد العدة في الغرب بتأثير من اليهودية لخوضها.

ونحن ـ المسلمين ـ يعنينا من كل ذلك أن الأمة العربية والإسلامية هي المستهدفة اليوم من قبل كافة التوجهات الغربية واليهودية. ويعنينا جداً أن نقول: إن فلسطين الأرض المباركة أولاً ثم القدس والمسجد الأقصى رمزها وفي موقع القلب منها هي إرث رباني إسلامي قرآني. ليس من حق أحد أن يزعم أنه يخصه. وليس من حق أحد أن يمنع الجهاد من أجله حتى يعود إلى دائرته الإسلامية. وليس اعتراف الغرب بكل ألوانه بالكيان الصهيوني ينزع الحق الإلهي الإسلامي من أرض فلسطين أو من قلوب وعقول أبناء المسلمين.

وإذا رجعنا إلى دراسة كافة شخصيات الباباوات التي توارثوا الفاتيكان فإننا لن نعثر على أي واحد منهم من أصل عربي أو شرقي.

الفهرس التفصيلي للمحتوى

مقدمة ـ وفيها :

ضرورة إعادة النظر بما وصلت إليه المسيحية الغربية وتأثيراتها المنحرفة على النصرانية الشرقية . دور القرآن الكريم في تصحيح كل ما درج عليه الكهنوت المسيحي في تغيير مسار النصرانية كعقيدة . دور علم مقارنة الأديان في توضيح الزيف من الحق . اليهود ودورهم في حرف النصرانية عن التوحيد . الأناجيل بحاجة لإعادة تقييم . البروتستانت ودورهم في تثبيت المقولات اليهودية . ميلاد المسيح بين الحقيقة والخرافة . تفصيلات عن فصول الكتاب .

الفصل الأول : الوضع الجغرافي السياسي الاجتماعي والديني في فلسطين منذ عام ٥٣٨ ق . م حتى بعثة المسيح . الفرس ودورهم في إعادة احتلال أجزاء من فلسطين من قبل اليهود . الإسكندر المقدوني وانكسار الفرس . انقسام دولة الإسكندر إلى سلوقيين وبطالسة . الرومان واحتلالهم لفلسطين طبيعة الحكم التي سادت في زمن الرومان . العقائد الوثنية للرومان . وضع اليهود وفئاتهم في ظل الحكم الروماني . سكان سوريا الكبرى والخليط البشري . الحياة الدينية لسكان فلسطين قبل بعثة المسيح عليه السلام .

الفصل الثاني : النبي زكريا وابنه يحيى وعلاقتهما بمريم والمسيح عليه السلام

كيف تناول النص القرآني قصة زكريا ويحيى . كيف تناولت الأناجيل زكريا ويحيى . امرأة عمران ومريم العذراء . ماذا قالت الأناجيل وماذا قال القرآن

الكريم. المعبد مفهومه وعلاقة مريم به. مريم كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والأناجيل. حمل مريم بعيسى عليه السلام. اصطفاء الله لها. ماذا يقول إنجيل برنابا. ولادة مريم لعيسى. معجزة المسيح والميلاد العذراوي. رأي لمحيي الدين عربي. نسب المسيح. اختلاف الأحزاب المسيحية حول طبيعة المسيح. متى ولد المسيح عليه السلام. اختلاف الآراء. التقويم الروماني.

الفصل الثالث: السيد المسيح بعد مولده

ماذا تقول الأناجيل. ماذا يقول القرآن الكريم. تشابه ما قالته الأناجيل مع عقائد الوثنية حول ما أحيط بولادة المسيح. تكلُّم المسيح في المهد. مفاهيم وإشكالات. الروح القدس كلمة الله. نسب المسيح ينفي الألوهية. من هو يوسف النجار. رأي لأحمد ديدات. حياة المسيح من الطفولة إلى الدعوة. معنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. جاء المسيح ليتمم الدعوة. تلفيق اليهود وقولهم البهتان على مريم والمسيح. انقسام اليهود إلى ثلاث فئات. الصراع بين النبي عيسى واليهود. المعبد أصبح مغارة لصوص. معجزات المسيح عليه السلام. شفاؤه للمرضى. إحياؤه للموتى. المعجزات حسب الأناجيل وحسب القرآن الكريم. ليست المعجزة دليل على ألوهية المسيح. لماذا لم يؤله المسيحيون موسى على الرغم من معجزاته. رأي لابن عربي. الحواريون والمسيح. من هم الحواريون. ماذا قالت الأناجيل عنهم وماذا قال القرآن الكريم. مريم العذراء لماذا وكيف. النبي عيسى وصراعه العقيدي مع اليهود. ماذا حلل لهم وماذا حرم. نهاية الصراع بين المسيح والوثنيين. صلب المسيح حسب الأناجيل بعد تعذيبه وإهانته والقبض عليه. رفع المسيح وعدم صلبه. هل مات المسيح أم أنه حي يرزق. هل يعود المسيح مرة أخرى. رأي العقيدة المسيحية بعودة المسيح. رأي الإسلام بعودته. ماذا يقول برنابا. رأي لابن القيم الجوزية. من رأى المسيح يُصلب. الصلب وألوهية المسيح. ما التشابه بين

المسيحية والعقائد الوثنية . ما الذي حدث بعد رفع المسيح . إنزال المسيح عن الصلب ودفنه حسب رأي الأناجيل . المؤامرة اليهودية على العقيدة النصرانية . القيامة المسيحية في العقيدة النصرانية . الإيمان بعودة المسيح إلى الأرض .

الفصل الرابع : ماذا بعد المسيح . الرسل والكنائس الأولى

زعماء اللاهوت المسيحي في القرون الأولى للميلاد . بولس وتعاليم المسيحية . أول من أطلق مصطلح مسيحية . مفهوم الغنوصية . المجامع المسكونية والمحلية وكيف طورت في العقيدة المسيحية .

الفصل الخامس : الأناجيل وأصحابها

إنجيل عيسى والأناجيل . لماذا اختفى الإنجيل الحقيقي . أكثر من عشرين إنجيل . أصحاب الأناجيل الأربعة من هم ولماذا اعتمدتهم الكنيسة لوحدهم لماذا رفضت الكنيسة إنجيل برنابا . كتاب مقدس أُكتشف في سيناء . الأناجيل والوحي . تنوع نسخ الأناجيل المترجمة وتناقضاتها .

الفصل السادس : الكنيسة المسيحية وانقساماتها

المذاهب المسيحية والانقسامات والتحولات . المسيحية الغربية والنصرانية الشرقية . المذابح والاضطهادات بين المسيحيين بسبب اختلاف مذاهبهم . مارتن لوثر والبروتستانتية . جون كلفن والإنجيلية .

الفصل السابع : أهل الكتاب ـ النصرانية ـ المسيحية

ماذا تعني هذه المفاهيم . أين الاختلاف وأين التطابق . الإنجيلية الصهيونية الغلاف المسيحي والجوهر اليهودي . زيارة البابا للكيان الصهيوني في الميزان .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ صحيح البخاري. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الأزهر. القاهرة ـ الطبعة (١) ـ ١٩٧٩.

٣ ـ ابن كثير. البداية والنهاية. دار الكتب العلمية ـ المجلد الأول ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٩٤ ـ بيروت.

٤ ـ مصطفى مراد الدباغ. بلادنا فلسطين. الجزء ١ ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٦.

٥ ـ العهد القديم. التوراة ـ منشورات دار الكتاب المقدس ـ دمشق ـ بيروت. دون تاريخ أو طبعة.

٦ ـ العهد الجديد. دار المشرق ـ بيروت ـ ط ١٢ ـ ١٩٨٦.

٧ ـ د. القس حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. المجلد الأول ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٨١ ـ ط١.

٨ ـ يوسابيوس القيصري. تاريخ الكنيسة. مكتبة المحبة الطبعة الثالثة ـ القاهرة ـ ١٩٨٨.

٩ ـ قاموس الكتاب المقدس. منشورات مكتبة المشعل ـ بيروت ـ الطبعة ٦ ـ ١٩٨١.

١٠ ـ الإنجيل حسب القديس متى. تادرس يعقوب ملطي ـ ١٩٩٥ ـ دون دار.

١١ ـ محمد طه الدرة. إعراب القرآن وبيانه. المجلد الثاني ـ ١٩٩٥ ـ دار الحكمة ـ دمشق.

١٢ ـ الشيخ محيي الدين عربي. فصوص الحكم. دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٠.

١٣ ـ محمد طه التنير. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. دون تاريخ ـ دون طبعة أو دار نشر.

١٤ ـ البابا شنودة. اللاهوت المقارن. القاهرة ـ الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس ـ ط٥ ـ ١٩٩٦.

١٥ ـ ابن حزم الأندلسي. الفصل بين الملل والأهواء والنحل. مجلد ٢ ـ دار الجيل ـ بيروت ـ دون تاريخ.

١٦ ـ أحمد ديدات. هل الكتاب المقدس كلام الله. دار المنار ـ طبعة أولى ـ ١٩٨٩.

١٧ ـ ابن القيم الجوزية. هداية الحيارى ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت دون تاريخ.

١٨ ـ عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء. دار الخير ـ دمشق ـ بيروت ـ طبعة أولى ـ سنة ١٩٩٠.

١٩ ـ محمد السعدي. حول موثوقية الأناجيل. مجلة رسالة الجهاد طرابلس ـ ليبيا ـ ١٩٨٥ ـ طبعة أولى.

٢٠ ـ اسبيرو جبور. المرأة في نظر الكنيسة. ١٩٩٤ ـ مطبعة الصباح ـ دمشق.

٢١ ـ إنجيل برنابا. ترجمة خليل سعادة. مطبعة المنار ـ دون تاريخ.

٢٢ ـ د. عبد الرحمن نور الدين. رحلة الإنسان مع الأديان. ١٩٩٢ ـ دون مطبعة أو طبعة.

٢٣ ـ القس منيس عبد النور. هل تجسّد الله. مكتبة دار نداء الرجاء ـ حمص ـ دون تاريخ ـ دون طبعة.

٢٤ ـ عمر لطفي النجار. العقل والإلحاد. مكتبة المبتدأ والخبر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٩٩٧.
٢٥ ـ رومانو كواردیني. قيامة المسيح. دار المشرق ـ بيروت ـ ١٩٨٨ ـ ترجمة جرجس المارديني.
٢٦ ـ حبيب سعد. سيرة بولس الرسول. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية مع دار الثقافة ـ القاهرة ـ دون تاريخ.
٢٧ ـ محمد علي برو العاملي. الكتاب المقدس في الميزان. ١٩٩٣ ـ الدار الإسلامية ـ بيروت.
٢٨ ـ زكي شنودة. تاريخ الأقباط. جـ١ ـ القاهرة ـ دون تاريخ ـ دون طبعة.
٢٩ ـ الموسوعة البريطانية. جـ٦ ـ طبعة ١٩٨٣ ـ وكذلك المجلد السادس.
٣٠ ـ موريس بوكاي. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٠ ـ طرابلس ـ ليبيا.
٣١ ـ جيمس نبتلي. اكتشاف الكتاب المقدس. الطبعة الأولى ـ ١٩٩٥ ـ دار سيناء للنشر ـ القاهرة.
٣٢ ـ د. علي عبد الواحد وافي. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام. نهضة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ ـ الطبعة الأولى.
٣٣ ـ عبد الواحد داود. محمد في الكتاب المقدس. الطبعة الأولى ـ ١٩٨٥ ـ قطر.
٣٤ ـ القس الدكتور حنا الخضري. تاريخ الفكر المسيحي. المجلد الرابع ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٨١.
٣٥ ـ نشأة الطوائف المسيحية. إعداد ن ف ع ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٩٧ ـ القاهرة ـ مطرانية الفيوم.
٣٦ ـ القس الدكتور حنا الخضري. مارتن لوثر. القاهرة ـ دار الثقافة ـ دون تاريخ.
٣٧ ـ محمد السماك. الأصولية الإنجيلية. مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطا ـ ط١ ـ ١٩٩٠.
٣٨ ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل. نقلاً عن كتاب السيف الصقيل.
٣٩ ـ الشيخ محمد أبو زهرة. محاضرات في النصرانية نقلاً عن كتاب حول موثوقية الأناجيل.
٤٠ ـ شريف محمد هاشم. الإسلام والمسيحية في الميزان. بيروت ـ دار الوفاء ـ ط١ ـ ١٩٨٨.
٤١ ـ محمد فؤاد الهاشمي. الأديان في كفة الميزان.
٤٢ ـ حياة الحيوان للدميري.
٤٣ ـ ول ديورانت. قصة الحضارة. مجلد ١١.
٤٤ ـ دوان. خرافات التوراة والإنجيل نقلاً عن كتاب حول موثوقية الأناجيل. إعداد محمد السعدي.
٤٥ ـ جريدة الأنوار اللبنانية. ٨/ ٦/ ١٩٩٠.